الفصل الثالث

الإسلام والإيمان

obeikandl.com

obeikandl.com

حقيقة الإسلام

تستعمل كلمة الإسلام فى عبارات وتراكيب لغوية ، ويفهم من كل عبارة معنى يخالف معناها فى العبارة الأخرى ، **فهل تدل كلمة الإسلام على معانٍ متعددة ، بمعنى أنها تستعمل استعمالات مختلفة ، فيكون معناها فى استعمال يخالف معناها فى الاستعمال الآخر ، أم بين الاستعمالات المتعددة جانباً مشتركاً ؟**

إذا أردنا أن نبحث عن معنى كلمة ما ، فلابد أن نلاحظ استعمال الفعل المشتق منها ، فالفعل من كلمة الإسلام هو : أسلم يسلم ، ومعناه : انقاد ، فتقول : أسلمت وجهى لله ، أى أطعت الله ، أو انقدت لأمر الله ، فالإسلام على هذا النحو هو : الانقياد والخضوع والطاعة لله ﷻ ، يقول القرآن الكريم ، حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣١]

فإذا فهم الإسلام على أنه الخضوع ، والانقياد ، والطاعة ، فربما يتبادر إلى الذهن أنه يدعو إلى أن يكون المسلم متواكلاً ، لأن معنى كلمة الانقياد : هو التسليم بما يجرى ويحدث ، دون الاعتراض ، ودون محاولة التأثير على مجرى الأحداث ، وهو ما يسمونه بالجبرية ، أى أن الإنسان خاضع للمشيئة ، دون محاولة التأثير على ما يحدث ، فهو كريشة معلقة فى الهواء ، إذ تسيرها الريح حيث شاءت . فالمسلم قد استسلم للأحداث بانقياده ، فلا يتدخل فى تغييرها . وذلك ما يلاحظ عند عامة المسلمين ، فهم متواكلون ، بل متكاسلون ، فإذا حاولت دفعهم إلى العمل قالوا لك : " **خليها على الله ، ما كان لك سوف يأتيك** " ، **ألا يكون سبب هذه السلبية هو ما يفهم من كلمة الإسلام من أنه هو الانقياد والخضوع المطلق ؟**

يخطئ من يفهم أن الإسلام يدعو إلى الكسل أو السلبية ، فإنه يحث على العمل والمثابرة ، يقول تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

ولو أحصينا الآيات التى وردت فى القرآن الكريم فى معرض الحث على العمل ، وجزاء العاملين لضاق بنا الوقت ، وهذا يدل على أن الإسلام لا يحب أن يكون المسلم سلبياً ، بل يدفعه دفعاً إلى العمل ، ويعده بثواب على أعماله الطيبة ، فلا يوجد أدنى اختلاف على أن الإسلام يدعو المسلمين إلى الإكثار من الأعمال الطيبة فى مجال العبادات من ذكر وتسبيح ، وصلاة وغير ذلك ، ولكن الخلاف فى الأعمال الدنيوية ، أى فى السعى إلى ما يعود على الإنسان بالخير المادى ، فكثير من المسلمين يلتزمون بأداء العبادات ، ويتواكلون فيما يعود على المجتمع بالرفاهية والتقدم الحضارى ، اعتقاداً منهم بأنهم سوف ينالون ذلك فى الآخرة ، أما فى الدنيا فلا بأس أن يعيش فقيراً محروماً ، ولذلك تسمع كثيراً منهم من يقول : " **لنا الآخرة** " ، أى أنه وإن فاتته الدنيا بسبب كسله وتواكله ، فسينال فى الآخرة ما حرم منه فى الدنيا .

* * *

ذكرنا فى الفقرة السابقة أن الاتجاه الخاطئ ، هو الذى يرى أن كثرة الأعمال فى مجال العبادات مطلوبة ، أما العمل الدنيوى فلا ؛ إذ لا بأس أن يعيش الإنسان فقيراً محروماً ، مادامت له السعادة الأخروية ، ويتواكل أصحابه فى هذا الاتجاه ، ويتكاسلون فى مجال العمل الدنيوى ، ويتضح خطؤه عندما نلاحظ هاتين النقطتين :

الأولى : كما حث الإسلام على العمل فى مجال العبادة ، حث على العمل فى المجال الدنيوى ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، وقال ﷺ : **" لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأتى بحزمة حطب على ظهره ، فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير من أن يسأل الناس ، أعطوه ، أو منعوه "**

فهذه النصوص تدل على أن الإسلام ، وإن كان معناه الخضوع والانقياد ، كما شرحنا فى الفقرة السابقة ، إلا أنه خضوع لله فقط ، وليس خضوعاً للظروف المادية التى تحيط به ، أى أن المسلم لا يجوز له أن يستسلم للعقبات التى تعترض طريقه فى الحياة الدنيوية ، بل عليه أن يتخطاها بالاجتهاد ، والمثابرة فى العمل الذى يدر عليه ، وعلى أولاده رزقاً يعيشون منه ، وفى ذلك أيضاً فائدة للمجتمع ، لأنه بإنتاج أبنائه يقوى على مواجهة التيارات المعادية له .

النقطة الثانية : التى ينبغى أن نلاحظها : هى أن الخضوع لله يتطلب تلقائياً العمل والجد فى الأعمال الدنيوية ، لأن معنى الخضوع لله أن ننفذ كل ما أمرنا به ، وقد أمرنا بالسعى على الرزق ، والعمل فى مجال الإنتاج ، لتقوى الأمة ، فمن يتكاسل فى عمله ، فقد فرط فى جانب رئيسى من جوانب خضوعه لله ، أى أن إسلامه يكون ناقصاً ، لأنه لم يقم بما يتحقق به الإسلام .

ولكن ، إذا كان معنى الإسلام هو الخضوع والطاعة ، فهل كل من خضع لله وأطاعه يعتبر مسلماً ؟

نعم ، ولذا قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧] ، أى أنه كان فى سلوكه منفذاً ما أمر الله به ، طائعاً له ، ولم يتبع ما أدخل على دين الله بواسطة الأحبار والرهبان ، فكل إنسان سار على هدى الله ، ونفذ ما نزل به الوحى من عند الله يعتبر

مسلماً ، فيوسف عليه السلام يقول : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١] ، وقالت بلقيس : ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٤٤]

إذن ، فمعنى الإسلام هو دين الله ، من لدن آدم حتى الآن ، فمن لم يؤمن به فقد اتبع طريق الشيطان ، وسارع إلى ما شرعه له الرهبان والأحبار ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، أى هو ما نزل على محمد ﷺ ، لأنه هو الدين الوحيد الذى سلم من التحريف والتبديل ، وهو دين الله من لدن آدم حتى محمد ﷺ .

حقيقة الإيمان

تحدثنا فى الفقرة السابقة عن الإسلام ، فبينا أنه هو الخضوع والانقياد والطاعة لله ، وشرحنا أن هذا المعنى لا يكون سبباً فى أن يتواكل المسلم أو يتكاسل ، لأن الإسلام يحث على العمل ، سواء أكان فى مجال العبادة ، أو كان متعلقاً بالمسائل الدنيوية من : تجارة وزراعة وصناعة وغير ذلك . ولكن بقى جانب آخر يبدو غير واضح ، وهو أنه ورد فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال : **"بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله**

، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً " ، فهل إذا فعل المسلم هذه الأركان الخمسة فقط يعتبر مسلماً ؟

نعم ، لأن هذه الأركان ، إذا أديت تدفع بمن يؤديها إلى أن يفعل الخير ، و يتجنب كل أعمال الشر ؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة تربى فى المسلم غريزة حب الخير والعطف على المحتاجين ، والصوم يهذب أخلاق المسلم ، فيحرره من غرائز الشهوات الجسمانية ، والحج يعمق فى قلوب المسلمين الشعور بالوحدة . وفوق هذا كله فالشهادة تحرر المسلم من سيطرة البشر عليه ، فهو لا يخضع إلا لله .

فإذا كان المسلم يتصف بهذا كله ، أو تنفيذه لهذه الأركان يؤدى إلى أن يكون مسلماً مطيعاً لله ، منفذاً تعاليمه ، فلماذا قال الله فى كتابه الكريم ، رداً على الأعراب الذين يعلنون إيمانهم للنبى ﷺ بأنهم ليسوا مؤمنين ، بل مسلمين ، فقال : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤]

فهل الإيمان غير الإسلام ؟

يجب أن نعرف أن الإسلام هو الخضوع والانقياد الظاهرى ، فإن صاحبه تصديق بالقلب يكون إسلاماً صحيحاً ، لأن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والتعبير عنه باللسان – كأن ينطق بالشهادتين – أو بالعمل – كأن يقوم بأداء العبادات – إنما هو علامة على ما فى القلب من الإيمان ، فإذا كان هذا التعبير صدى لما فى القلب من إيمان كان إسلاماً حقيقياً ، وإلا فيكون تظاهراً فقط ، كما كان حال المنافقين ، فقد تظاهروا بالإسلام ، و لم يدخل الإيمان قلوبهم . كذلك الحال مع الأعراب ، الذين تحدثت عنهم الآية ، فقد جاءوا خاضعين ، ولكن لم يكن الإيمان قد دخل قلوبهم بعد .

ولهذا لا يمكن الحكم على إنسان بأنه مؤمن أو غير مؤمن ، لأن ذلك الأمر يتعلق بالقلب ، ولا يطلع عليه إلا الله ﷻ ، وإنما نقول : فلان مسلم ، وهذا هو السبب فى شيوع

استعمال كلمة : - **المسلمون** - ، وقلة استعمال كلمة : - **المؤمنون** - ، فإطلاق الإيمان على المسلمين لا يكون إلا من الله ﷻ ، فهو الذى يعلم ما فى القلوب .

ومن هنا جاء تعبير : - **الذين آمنوا** - فى القرآن الكريم أكثر من مائتى آية ، و لم يأت تعبير : - **الذين أسلموا** - إلا مرة واحدة ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، أى يحكم بها الذين أطاعوا الله ، و لم يسيروا وراء شريعة وضعها البشر للمجتمع اليهودى .

* * *

بينا فى الفقرات السابقة أن الإسلام هو الخضوع والانقياد الظاهرى ، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب ، فمن آمن بلسانه ، و لم يصدق قلبه فهو بالنسبة لنا مسلم ، لأنه بحسب الظاهر أعلن خضوعه لأحكام الإسلام ، لكن إسلامه لا يكون حقيقياً ، لأن الجزاء لابد فيه من تصديق القلب ، والله الذى بيده الجزاء ، يعرف إن كان فى القلب تصديق أم لا ، فالإنسان مسئول عن هذا التصديق أمام الله فقط ، لأنه هو الذى يعلم ما تكنه القلوب ، فهو علام الغيوب .

إذن ، فالإيمان هو تصديق بالقلب ، والإسلام نطق باللسان ، وعمل يقوم به العبد ، تنفيذاً لما جاء به القرآن الكريم . وقد يكون هذا العمل ظاهرياً فقط ، كما كان حال المنافقين ، فإنهم تظاهروا أمام المسلمين بأنهم آمنوا ، و لم يدخل الإيمان قلوبهم ، وقد يكون عمل المسلم تعبيراً صادقاً عما فى القلب من إيمان .

فكيف نفرق بين العملين ؟

من الصعب جداً التفريق بين عملين : عمل قام به صاحبه تظاهراً ، وآخر نابع حقيقة من القلب ، فذلك لا يقدر عليه إلا العليم بأسرار القلوب ، وهو الله ﷻ ، لكن المرء غالباً

ما يلحظ – إن واتته الظروف ، أو كان ملازماً للشخص فى جميع الأوقات – صدق العمل الذى يقوم به صاحبه ، وذلك إذا كان سلوك الشخص طبقاً لما يظهره من تقوى وحرص على تأدية العبادات .

وتوضيحاً لهذين المعنيين للإسلام والإيمان ، وصف ما يتعلق بالقلب بأنه الإيمان ، وما يظهر على الجوارح بأنه الإسلام ، فيقول الله تعالى فى وصف المومنين : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، لأن التصديق لا يتحقق فى هذا إلا بالقلب ، فسمى إيماناً .

أما ماله جانب ظاهرى ، فقد وصف بالإسلام ، فقد جاء فى حديث رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإسلام قوله : " **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً** " ، فالنطق بالشهادتين له جانب ظاهري ، وكذلك الصلاة والصوم والزكاة والحج .

إذن ، فالإسلام : هو ما يتعلق بالظاهر ، والإيمان : هو ما يتعلق بالقلب ، وإن كان الإسلام لا يكون صحيحاً إلا إذا كان مصاحباً للإيمان بالقلب ، فإن انتفى الإيمان بالقلب أصبح العمل الظاهرى نفاقاً ، وليس إسلاماً . ولا يطلع على هذا إلا الله ، لأنه أعلم بالقلوب .

ولذلك لا يصح أن ننفى الإيمان عن مسلم ، التزم بأداء الأعمال الظاهرية ، فنصفه بالكفر ، أو النفاق ، لأن هذا خارج عن نطاق قدرتنا ، والأولى أن نطلق عليه وصف مسلم فقط . أما وصف المؤمن فندعه لله ﷻ فهو وحده الذى يعلم ما فى القلوب .

obeikandl.com